الماء ويتركونها الى رحمة الطوربيل التي تضربها من تحتها . ومع ذلك قد ثبت اليوم ان بعض القنابل اذا قُذفت في الماء قريباً من السفن الحربية تستطيع ان تصيبها في الاقسام المجرَّدة عن الدرع وتتلفها . وهذا ما اختبرهُ الانكليز في دارعتهم هيرو (Héro) التي اتخذوها هدفاً في تمريناتهم فغرقت بفعل قنبلة اصابت اطرافها الغائصة في الماء فانفجرت وحطَّمت قعر الدارعة فدخلت فيها المياه واغرقتها

فترى مما سبق انَّ للحرب البحريَّة اهوالاً شبيهة بالحرب البريَّة بل اعظم وافظع منها وقانا الله شرورها واثبت سلامهُ بين كافة بني البشر

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ دار السلام

تحدَّر بنا الطَّرف (الكلك) من سُرَّ من رأى الى بغداد بسرعة لشدَّة مجرى دجلة هناك فكنَّا نمرّ وسط بلاد كانت عامرةً تزاحمت في ملكها الدول القديمة لخصبها ووفرة خيراتها واليوم لم يبق منها الَّا اخربة تشق فوقها الغربان . فمن ذلك آثار القادسيَّة المبنيَّة على نهر دُجيل على مسافة نحو عشرين كيلومترًا من سامرًا كان يُصنع فيها قديماً الزجاج . وليست هذه القادسيَّة العظيمة التي فيها وقعت المعركة بين العرب والفرس حيث كانت الدَّولة على الفرس في ايَّام عمر بن الخطاب . وعلى مسافة ثلاثة اميال منها في برِّيَّة العدرة الشرقيَّة آثار مدينة اخرى كانت من اكبر مدن البابليين تُدعى اوپيس ورد ذكرها في الكتابات المسماريَّة وفي مؤرخي اليونان كهيرودوت وكسانوفون . وهي اليوم خراب يباب . ثم اطلال مدينة بَلَد وهي غير بَلَد التي بين الموصل ونصيبين . ثم قرية حَرْبى المشهورة قديماً بمسوجاتها القطنيَّة وهي مقابلة للحظيرة قرية كبيرة . قال ياقوت : « ان فيها تُنسَج الثياب الكرباس الصفيق » . ثم مزارات للطويين كشُنَيدة ورانة جرت فيها وقائع مع اهل الشيعة وفيها قبور اصحابهم

وكنا نتذكر على الاخص اولياء الله الذين قدّسوا في قرون النصرانيّة الاولى عُدوَتَي دجلة منهم شهداء لا يُحصَون ماتوا بطيب الخاطر في سبيل دينهم في عهد سابور ويزدجرد ومنهم نسّاك زهدوا في الدنيا وعاشوا عيشة الارواح السماويّة في اجسام ضعيفة تشهد تواريخ معاصريهم على اعمالهم ومعجزاتهم

وفي صباح يوم الثلثاء ٢٥ تشرين دخلنا في رباض بغداد قرب بلدة صغيرة على ضفّة دجلة اليمنى جعلوها احد اقضية بغداد يدعونها بالكاظميّة نسبةً الى احد ائمّة اهل الشيعة الامام موسى الكاظم فيها مسجد جامع يحتوي قبرهُ والشيعيّون يعظّمون هذا المزار ويتقاطرون الى زيارته من كل انحاء العجم . والمسجد المذكور حسن البناء واسع الفناء مزيّن بالنقوش الزاهية تعلوهُ اربع قبب وستّ مناثر كلّها مذهّبة . وقبّتهُ الوسطى قد صفّحها بالذهب الخالص ناصر الدين شاه العجم بعد رجوعه من اوربّة سنة ١٨٧٣ لمّا حجّ الى مزارات اهل مذهبه . وكانت شمس الضحى تضرب اشعّتها على هذه القبب فتبهر الناظر اليها

وبازائها على هذه الضفّة الشماليّة بلدة اخرى تُعرف بالاعظم فيها جامع شهير اقامهُ السنّيون على طرز بديع وفيه قبر الامام ابي حنيفة احد الاربعة الفقهاء الذين يتبع سننهم اهل السنّة وهم يلقّبونهُ بالامام الاعظم ويزورون مقامهُ كل يوم سبت . وكان الامام المذكور في عهد هارون الرشيد

واذ كنّا نتبع الابصار بأبنية البلدتين وخصب تربتهما وزكاء منابتهما والجراسق اللطيفة التي تزينهما أدركنا الجسر الممتدّ بين الضفّتين وهو جسر نقّال لا يمكن القوارب والاطواف ان تمرّ ما دام ممدودًا فوق النهر . وعند وصولنا كان قفلٌ عظيم يقطع الجسر واذا هو قفل العجم الكبير آتٍ من جهات مختلفة وكان يتألّف من عدد وافر من زوّار النجف وكربلاء اتوا بمنين من حيث مرتاهم ليدفنوها في احد مزاراتهم تبرّكًا (١ فبقينا نحو الساعة ننتظر مرورهم ريثما يُزاح الجسر فنستطيع ان ندخل بغداد . فكنّا نتأنّى بالنظر الى هؤلاء العجم بازيائهم الوطنيّة وبينهم الاغنياء والفقراء والرجال والنساء والشيوخ والاحداث في ملابس متشكّلة وعلى رؤوسهم القلانس

١) وقد اثبت الشيخ هبة الله الشهرستاني تحريم نقلها (المشرق ١٥ : ٣١٦)

والالياد يلهجون بوطنيتهم الاعجميّة وكانت دوابّهم موسوقة بالتوابيت تجري وتُسمع عن بُعد جلاجلها الرنّانة بجلبة تصمُّ بها الآذان

فرفعوا اخيرًا عوارض الجسر وامكننا ان نواصل مسيرنا الى دار السلام فبلغناها بعد ثلاثة ارباع الساعة فمشي تارةً في ظلّ النخيل المائسة سعوفها في الفضاء وتارةً على مقربةٍ من قصور المثرين من البغاددة او المزارات للصفّحة بالصيني والكاشاني. وكانت القوارب تمرّ بقربنا ذهاباً وايابا واخصُّها القُفف. والقفة عبارة عن سفط مستدير الشكل واسع قطرُهُ نحو مترين ينسجونهُ من الخوص والحلفاء وقضبان الرمّان فيخيطونها ببعضها بخيوط من ليف النارجيل ثم يطلونها بالقير خارجاً وداخلاً. وهم يحركونها بمجذاف ينتهي بلوحة يدعونها غرّافة. ويكفي غالباً ملّاح واحد لادارتها فيمزل الذين يريدون قطع دجلة في هذه القفف الشبيهة بدنيّة القضاة او طابيّة الكهنة (١

ثم بلغنا المدينة وكانت القفف والقوارب تزداد وحركة البغداديين تنمو ولغط اللّاحين يتصاعد حتى امكننا اخيرًا ان نفتح لنا طريقاً في وسطهم فأرسينا طوفنا على شاطئ دجلة وبعد قليل حللنا كضيوف في دير حضرة الآباء الكرمليين

وان سألت ماذا حلّ بكلكتا اجبنا ان هذه الكلكتات لا تستطيع صعود النهر فاذا بلغت غايتها حُلّت الواحها وبيعت اما ظروف الطوف فيعود بها اللّاح الى بلده ويحملها جملًا يركبهُ فوقها

استقرّ قدمُنا في مدينة السلام في ظهيرة يوم الثلثاء ٢٦ ت ٢ ومكثنا فيها الى ٣ كانون الاوّل. وقد لقينا لدى ابناء سيّدة الكرمل في بغداد من الاحتفاء وشواعر الحبّ الصادق ما اثبت لنا اننا حللنا بين اخوان. وكان رئيسهم وقتئذٍ الطيب الذكر الاب « ماري جوزف دي جيزو » احد اركان الرسالة الكرمليّة في بغداد منذ نحو خمسين سنة. وكان نائبهُ حضرة الاب « پيار المنتمي الى امّ الله R. P. Pierre de la Mère de Dieu) من تلامذة مدرستنا تيڤولي في بوردو الذي حظيت بلادنا بجلوله في جوارنا اذ تعيّن منذ ثلاث سنوات كرئيس دير جبل الكرمل. وكان

(١ الطب وصفها في مقالة الدكتور ماريني عمّا ورثهُ اهل العراق من الاشوريين (المشرق ٢٤: ٦٩٠)

ايضاً من جملة رهبان بغداد رجل الخير الاب داميان دي سان جوزف رفيق الاب ماري جوزف في كل اعماله الخيرية ولاسيما علاج المرضى . ومنهم حضرة الاب انستاس المنتمي الى مار الياس تلميذ كليتنا سابقاً وحضرة الاب بوليكرب مدير مدارس الرسالة هناك . ففي مدة الاسبوع الذي اقتضاه بينهم تجاوزوا كلهم في خدمتنا ومؤانستنا فتقدم للاحياء منهم عواطف شكرنا امّا الموتى فنطلب لهم الجزاء الصالح في دار الابرار . وقد دوّنا في الشرق في العام الماضي (١٥ : ١٦٠ — ١٧٩) ترجمة الابوين المرحومين « رسولي الخير العام في مدينة دار السلام » الاب ماري جوزيف وداميان واغتنمنا تلك الفرصة لذكر تاريخ الرسالة الكرملية في العراق عموماً وفي بغداد خصوصاً فنحيل اليها القرّاء وفي مراجعتها غنى عن التكرار

وقضينا بقية يومنا الاوّل في زيارة دير الآباء الكرمليين مباشرة بالكنيسة (انظر الصورة) ثم المدارس وسائر معاهد الدير التي سبق فوصفها الشرق في المقالة المذكورة

ثم سرنا في اصيل النهار في رفقة الاب داميان طبيب بغداد الى دار القنصلية الفرنسوية لزيارة سعادة ممثل دولة فرنسة وكان وقتئذٍ المسيو پونيون احد كبار المستشرقين الذي اشتهر بمطبوعاته السريانية والمندائية والاشورية فرحّب بنا وارقفنا على كثير من الكنوز الادبية التي اكتشفها في جهات العراق وما بين النهرين . وسرنا أن لقينا في خدمته بصفة ترجمان دولته حبيب افندي دانيال شوريز من طلبة كليتنا سابقاً ثم تشرّفنا بتقبيل ايدي السيد اغناطيوس نوري رئيس اساقفة بغداد على السريان الذي كنّا رأيناه قبلاً في ماردين فسبقنا راجعاً الى كرسي ابرشيته . ولم يكن اذ ذاك في مدينة السلام من الاساقفة غير سيادته

وصرفنا صباح اليوم التالي في زيارة كهنة بقية الطوائف الكاثوليكية من كلدان وارمن وروم كاثوليك وزرنا كنائسهم لاسيما الكاتدرائية الجديدة للكلدان واستحفينا عن اعمالهم الرسولية ومشروعاتهم الخيرية ومدارسهم . فتحققنا ان الكنيسة الكاثوليكية قد بلغت في بغداد بهمّة المرسلين والاكليروس الشرقي مقاماً رفيعاً منذ اواسط القرن الماضي حتى اصبح الكاثوليك ثلاثة او اربعة اضعاف عددهم قبل خمسين سنة . ويقدّرون عددهم من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ اكثرهم الكلدان

ثم السريان ثم الارمن ثم اللاتين وقليل من الروم الكاثوليك . ويبلغ عدد النصارى غير الكاثوليك نحو ٣٠٠٠ اكثرهم ارمن غريغوريون فيكون مجموع النصارى من ١٠,٠٠٠ الى ١٢,٠٠٠ وهو عدد قليل بالنسبة الى مجموع اهل بغداد البالغ على ما يقال ١٦٠,٠٠٠ من السكان بينهم ٦٠,٠٠٠ من اليهود والباقون مسلمون سنيون او شيعيون . لكنهم مع قلتهم يمتازون بآدابهم وتمدنهم ونفوذهم . وقد زرنا بعض اعيانهم فاختبرنا حسن صفاتهم لاسيما تفاهم وعروقهم في الدين نخص منهم بالذكر الوجهاء آل اصفر الذين ساعدوا المرسلين في كل اعمالهم وانفقوا قسماً كبيراً من مالهم في سبيل الخير فبارکهم الله وانمى ثروتهم وانقذهم مراراً من كوارث الدهر

وقد زرنا ايضاً في ذلك اليوم دير راهبات التقدمة اللواتي أشرنا الى اعمالهنَّ في الموصل والجزيرة فلهنَّ في بغداد اعمال مثلها كمدارس الاناث وميتم للفتيات المهملات ومأوى للغرباء ومستوصف ومستشفى وغير ذلك مما يستوجب شكر جميع البغاددة دون استثناء

ثم اخذنا نصرف النظر الى معرفة احوال بغداد المدنية والادبية وتتبع مآثرها القديمة والحديثة .

بغداد مدينة اسلاميَّة شيَّدها ابو جعفر المنصور الخليفة العبَّاسي سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ للمسيح) في مكان مَزارع عُرفت باسم بغداد او بغداذ وهو اسم اعجمي مركَّب من لفظتين معناهما « هبة الله » وقيل غير ذلك . وقد اخبر ياقوت في معجم البلدان انَّ ثَمَّ كانت بيعةٌ للنصارى وقيل دير للرهبان استشار المنصور واحداً منهم في تخطيط مدينة هناك فدلَّهُ على وضعها (١ . فاستدعى اشهر المهندسين من الروم والسريان وغيرهم فخطَّطوها وابتنوا فيها الابنية الفاخرة من قصور وجوامع ودور للعمَّال فانتقل اليها المنصور من الكوفة وسكنها هو وخلفاؤهُ فاصبحت بعد حين من امَّهات المدن الشرقية فوصفها الشعراء والكتبة بجنَّة الارض وحاضرة الدنيا وغرَّة البلاد وعين العراق ومدينة السلام ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف حتى قال ابن زُرَيق الشاعر :

---

١) راجع ما نقلناهُ عن ابن خلدون في خبر ابتناء بغداد في كتاب مجاني الادب (٥ : ٢٠١)

سافرتُ ابني لبغداد وساكنها ... شغلاً قد اخترتُ شيئاً مثلهُ الياسُ
هيهاتُ بغدادُ والدنيا باجمعها ... عندي وسكّانُ بغدادٍ همُ الناسُ

على ان هذه المحاسن لم تخلُ من شوائب كثيرة لاسيما اذ تشوّهت بتزاحم الناس فيها فذمّها عبدالله بن المعتز بقوله: «بغداد وسخة السماء ورمدة الماء والهواء. جرُها غبار. وارضُها تُراب. وماؤها طين. وترابُها سرجين. وحيطانُها تُروز. وتشريتها تُروز... ضيقة الديار. وسيئة الجوار... حشوشهم مسائل. وطرقهم مزالق. وحيطانهم اخصاص. وبيوتهم اقفاص...»

ثم توفر عدد سكّان بغداد حتى ضاقت ضفّة دجلة الشمالية عن ايوانهم فجعل الناس يبنون على ضفّتها اليمنى مدينةً عُرفت بالكرخ فكان يجمع بين الجانبين جسر كبير وبقيت بغداد في مدّة خمسة اجيال عاصمة الدولة العبّاسية سواء حكموا بنفسهم او صار الحكم المدنيّ في ايدي بني بويه والاتراك والسلجوقيين مع حفظ الخلفاء للسلطة الدينية. وفي تلك الحقبة فضّل الكثيرون منهم السكنى في سرّ من رأى كما سبق ذكرهُ. اما الآثار الباقية من تلك القرون فقليلة منها بقايا القلعة القديمة وفيها المطبق اي السجن الذي كان تحت الارض كانوا يجعلون فيه اصحاب الجنايات الكبرى فيشارون بهم او يقتلونهم جوعاً ومنها بعض الجوامع اخصُّها جامع سوق الغزل من ابنية الخليفة المستنصر قبل دخول المغول بقيت الى يومنا منارتهُ ثم جامع الحاكمي وكذلك باب الطلسم وبعض الخانات كخان عرتمة وفي هذه الابنية نقوش جميلة واشغال هندسية دقيقة يُعجب بها الزوّار

ومنها مشاهد ومدافن اشهرها مدفن السيّدة زبيدة امرأة هارون الرشيد. ومنها آثار مدارس لاسيما المدرسة المستنصريّة التي اتّسع كتبة الشرق في وصفها فذكر جناب جرجي افندي صفا نبذةً من تاريخها (٥ : ١٦٤) وتردف الشيخ الفاضل محمود افندي الالوسي فوصف احوالها وتعليمها (٥ : ٩٦١) ونقلنا ما رواهُ ابن الجوزي في ساعتها العجيبة (١٠ : ٨٠) وعاد حضرة الاب انستاس الكرملي الى اوصافها في مقالتهِ عن مدارس الزوراء في عهد الخلفاء (١٠ : ٣٩٠) مع اثباتهِ لصورة بقاياها الى يومنا. ومثلها بقايا المدرسة النظامية هناك (١٠ : ٤٤٠)

ثم حلّت ببغداد خطوب متوالية بفتح المغول لها فدخلها هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

(١٢٥٨ م) وقتل آخر الخلفاء العبّاسيين المستعصم بالله ونهب اموالها واعمل السيف في اهلها وملكها فبقيت نحو مئة سنة تحت حكم المغول وخلفهم في ملكها امراء وسلاطين مستقلّين ثم فتحها تيمورلنك (١٤٠١ م) وجعلها ولاية من قومه الى ان استولى عليها امراء الترك المعروفون بكراكويولي. ثم فتحها العجم مرّتين في عهد اسماعيل شاه سنة ٩١٥ ﻫ (١٥٠٩ م) فملكوها ربع قرن وانتزعها من حكمهم السلطان سليمان القانونيّ ثم تملّكها شاه عبّاس الى ان استرجعها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٢ ﻫ (١٦٢٨ م) ومنذ ذلك الحين يملك عليها بنو عثمان وولاتهم

والآثار الباقية من بعد فتح المغول لبغداد ليست من المحاسن الهندسية على شيء الّا بعضها كمسجد الامام موسى الكاظم السابق ذكره ومسجد السيد سلطان علي ومسجد الشيخ عُمر

وبغداد اليوم لا تزال من حواضر السلطنة العثمانيّة . تمتاز بتجارتها الواسعة فتُصدر القناطير المقنطرة من الحنطة والأرزّ والماش والعدس والتمر . وتنقل الى جهات الولايات والى الهند والعجم الجلود والصمغ والسمسم . ولها المنسوجات الحريريّة والاقمشة والقطنيّات والمصاغات الذهبيّة والفضيّة وغير ذلك ممّا يجعل بغداد وولايتها في مقدّمة الولايات بوفرة صادراتها ومثلها الواردات اليها

امّا حالة بغداد من حيث الترقّي الادبيّ والتهذيب العقلي فهي دون حالتها التجاريّة . ففي دار السلام عدّة مدارس وكتاتيب متوسّطة منها مدارس رسميّة للحكومة كالاعدادية والرشديّة والملكيّة ومنها مدارس اسلاميّة تقتصر غالباً على درس مبادئ اللغات والعلوم الدينية . واشهر مدارس بغداد المدارس الكاثوليكية وخصوصاً مدرسة الآباء الكرمليين المدعوّة مدرسة القديس يوسف التي سبق لنا وصفها ومدرسة الطوائف الكاثوليكية للكلدان والسريان والارمن المعروفة بمدرسة الترقّي الكاثوليكي ومدرسة الارمن الغريغوريين ومدرسة المعهد الاسرائيليّ . والدروس في اكثر هذه المدارس تتناول اللغات العربية والافرنسية والتركية واصول التاريخ والجغرافية والحساب . ولبغداد مكتب صناعيّ شيّدهُ مدحت باشا سنة ١٨٧٠ مدّة ولايته وهو الذي انشأ مطبعة الولاية وجريدتها الزوراء

امّا اهل بغداد فمن عناصر مختلفة بينهم العرب والعجم والترك والاكراد والهنود

وعمّال الفرنج فضلًا عن اليهود . والبغاددة معروفون بذكاء عقلهم وطيب اخلاقهم ومؤانستهم للغريب وكرمهم وشفقتهم على الفقير . وازياء رجالهم اقرب من ازياء اهل البادية يلبسون الكوفية والعقال او العمامة مع القماز (ويدعونهُ الزبون) والجبَّة وضروب الاعبية امَّا النساء فيتزرن بالجبرات الحريريَّة او الاقمشة للمارونة. ومنازلهم ذات طبقة واحدة سفلى يبنونها بالطين والكلس الَّا دور الوجوه والاعيان فانها اشبه ببيوت اهل الشام مبنية بناء منتظماً ولها القاعات المتسعة . والبغداديّ عادةً شديد البنية مفتول الخَلق لجفاف هواء بلده. لكنَّ ذاك الهواء في الصيف متَّقد الحرارة فلا تطاق شدَّة التهابهِ ولذلك يتَّخذون لهم السراديب تحت الارض فيسكنونها في فصل الصيف . وفي الليل ينامون على السطوح . وفي فصل الشتاء يشتدُّ البرد وتهطل المياه وربَّما فاض نهر دجلة وتعدَّى حدودهُ وكثيرًا ما اتلف النفوس والاملاك فلم يرجع الى مسيلهِ الَّا بعد الجهد الجهيد. امَّا لغتهم فهي العربية يختلط فيها شيءٌ من لهجة العربان مع عدَّة الفاظ تركية وعجمية

ويلحق ببغداد اقضية عديدة وسنجقان سنجق الحلَّة او الديوانية وسنجق كربلاء يسكن فيها مع اهل الحضر عشائر من اهل البادية والغالب عليهم الفلاحة ورعية المواشي وحياكة الاعبية ونسج الحصر . وفي سنجق كربلاء مزارا العجم المعظَّمان على شبه مكَّة والمدينة وهما النجف وكربلاء. ففي النجف مشهد علي بن ابي طالب وفي كربلاء مشهد ولديهِ الحسن والحسين وهم يمثلون في كل سنة فاجعة قتل الحسين في يوم عاشوراء. وعلى مقربة من النجف مدينة الكوفة الشهيرة التي اصبحت اثرًا بعد عين. وفي سنجق كربلاء ايضاً مزار ذي الكفل الذي يزعم اليهود انَّ فيهِ قبر النبيّ حزقيال (راجع وصفه في المشرق لحضرة الاب انستاس ٢ : ٦١—٦٦). ومن آثار ولاية بغداد عقرقوف التي اتَّسع ايضاً في وصفها حضرتهُ (المشرق ٣ : ٨٦٥ و٤ : ٢٠٧ و٢٨٥). وفيها ايضاً اثار قصور ترقى الى زمن الناذرة كقصر الأخيضر الذي وقف على بقاياهُ الاثريّ الفرنسويّ المسيو لويس ماسينيون فوصفهُ في كثرة الكتابات والفنون الجميلة (راجع المشرق ١٢ : ٤٧٩) ثم آثار مدن قديمة كالوركاء (المشرق ٦ : ٤٥٤) وبابل وتلّو ونيفار او نيبور والدير وابي حبَّة او ليبار وبرز والخمر ولرسام ومُغَيّر وفي كلها قد احتفر العلماء الحفريَّات التي اوقفتهم على اجلّ الآثار المتبنة بحضارة

البابليين والاشوريين وعمرانهم وفتحت لهم عالماً جديداً كان مدفوناً تحت انقاض تلك البلاد لا سيما بعد ان فكّوا اسرار الكتابة الاشوريّة

ولم يبرح عن بالنا الداعي لسفرنا الى بغداد اي التفتيش عن الآثار الادبية والتآليف العلمية والاجتماع بذوي المعارف وأدباء الطوائف . فكان حضرة الاب انستاس الكرملي دليلنا والواسطة الى مبتغانا فنشكر له فضلهُ وحسن لطفهِ . فمن حظنا بمعرفتهم من أدباء النصارى حبيب افندي شيحا صاحب تأليف « ولاية بغداد ماضيها وحاضرها ومستقبلها » الذي وصفناهُ (في المشرق ١١ : ٩٥٣) ونسيبهُ نجيب افندي شيحا وكلاهما مزدان بالمعارف والاداب . ثمَّ الشماس فرنسيس اوغسطين جبران من اساتذة مدرسة الاتفاق الكاثوليكي والطبيب النطاسي نابوليون ماريني من متخرّجي مكتبنا الطبيّ . وكذلك زرنا بعض مشاهير المسلمين واخصّهم السيّد نعمان الالوسيّ صاحب التآليف العربية المتعدّدة وشكري افندي الالوسي مؤلف كتاب « بلوغ الارب في احوال العرب » الذي نال الجائزة في مؤتمر ستوكهلم (المشرق ٢ : ٥٢٣ و ٣ : ٢٣٦) وكلُّهم استقبلونا بكل حفاوة واكرام وآنسوا بنا واطلعونا على كثير من آثار القدماء لا سيما الكتب اللغويّة والادبيّة والدواوين نخصّ منها بالذكر نسخة قديمة حسنة من مقامات ابن ماري النصرانيّ الذي نشر منهُ مقامةً حضرة الاب انستاس (راجع المشرق ٣ : ٥٨٩) وبعض رسائل ابن الاعرابيّ ومصنّفات ابن الكيت

ثمَّ زرنا دار الكتب العمومية الحاوية قريباً من ألف كتاب في فنون شتى وجدنا بينها بعض الكتب العزيزة الوجود انتسخنا شيئاً منها

وهدانا اصحابنا الى بعض الورّاقين فوجدنا عندهم عدّة مخطوطات امكننا الحصول عليها بقيمة متوسّطة وهي اليوم تزين مكتبتنا الشرقية . هذا فضلاً عن قسم من مطبوعات العجم والهند التي يصعب الوقوف عليها في الشام . فشكرنا رحلتنا الى مدينة بغداد اذ لم نَعُدْ منها بصفقة خاسر

ولما كان الثلثاء ٣ كانون الثاني وفيهِ عيد رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس احتفلنا بذكره مع حضرة الآباء الكرمليين بغاية البهجة . وفيهِ كان موعد سفر احدى السفن الانكليزيّة الى البصرة فشكرنا الرهبان المرسلين على جميل

ضيافتهم ووداعهم لنواصل سيرنا الى الهند . وكذلك افترقنا في ذلك اليوم عن اخينا العزيز الذي كان رافقنا الى بغداد ليقوم بكل حاجات سفرنا . ولم يَعُد الى وطنه ماردين الّا بعد شهرين لثورة الاكراد في ولاية ديار بكر (له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Les Origines du Culte des Martyrs par Hippolyte Delehaye S. J. Bollandiste. *Bruxelles*, 1912, pp. 501

اصول تكريم الشهداء

انّ تآليف البولنديستيين في تاريخ اولياء الله وانتقاد آثارهم وتعريف كلّ ما يتوسط بشؤونهم يعتبرها كلّ العلماء كأوّل ركن لدرس تراجم القديسين لعلمهم بانّ جماعة اولئك الكتبة فازت بقصب السبق على سواها في هذا الصدد منذ ثلثمائة سنة . والكتاب الذي ألّفهُ احدهم في العام الماضي وهو كتاب اصول تكريم الشهداء لحضرة الاب ديليهاي يثبت ذلك الاعتبار ويؤيدهُ . فانّ كاتبهُ انبأ بعلم واسع وتنقيد مدقّق فدوّن في ٥٠٠ صفحة كلّ ما يختصّ باكرام اولئك الذين قدّموا للمسيح اعظم شهادة محبّتهم اعني شهادة دمهم الزكيّ اهرقوهُ بطيب القلب ليدافعوا عن حقيقة ايمانهم . فبيّن كيف المؤمنون منذ اوائل الدعوة المسيحيّة كانوا يتزاحمون في خدمتهم وهم في السجون قبل تنفيذ الحكم فيهم وكيف كانوا يجلّونهم كاولياء الله ويبتهلون ادعيتهم ويرافقونهم الى منقع الدم ويتمنّون لو يموتون معهم . فروى كلّ ذلك عن شواهد المؤرخين المعاصرين لاولئك الشهداء وعن اقوال الآباء الذين مدحوهم في ميامرهم بل عن شهود لا تُردُّ شهادتهم وهم كتبة الوثنيين كاوقيان في كتابهِ « موت الغريب » وكذلك سجلّات المحاكم الرومانيّة وتقارير الشهداء . وانتقل منها الى وصف قبورهم ومشاهدهم وما كانوا يصنعون عند زيارتها وفي احتفالاتهم السنويّة لاكرام اصحابها في الشرق والغرب معاً مع ما جرى على ذلك الاكرام من التقلّبات في كلّ بلد ثم ذكر كثيرًا من الآثار المنقوشة على ضرائحهم او ذخائرهم فجاء كتاباً فريداً في جنسهِ لا يستغني عنهُ الاثريّون والمؤرخون والكتبة الكنسيون بل يستفيد منهُ